"الاستخلاف في الأض" –دراسة موازنة بين المنظور القرآني وفكر "محمد إقبال"–

Succession in the land - a balancing study between the Qur'anic perspective and the thought of Muhammad Iqbal

د نجوى مناع[1]

ملخص المقال :

خلق الله تعالى الانسان وكرّمه على جميع مخلوقاته، وبين له أن الغاية من وجوده لا تنفكّ عن ثلاث مقاصد عظيمة: العبودية والاستخلاف والتعمير، ومن المفكرين الذين اهتموا بموضوع "الاستخلاف" محمد إقبال، خاصة في كتابه"تجديد الفكر الديني"، حيث حاول هذا البحث الموازنة بين المنظور القرآني وفكر إقبال في طرح هذه المسألة، من خلال التعريف بالاستخلاف ومقاصده، وبيان أسباب تخلف الأمة الاسلامية، وموجبات الاستخلاف العامة والخاصة، ومنهجه في ذلك اتباع تعاليم القرآن والسنة مصدرا للتشريع.

كلمات مفتاحية: إقبال، استخلاف ، تعمير ، تجديد.

Abstract:

God Almighty created man and honored him on all his creatures, and showed him that the purpose of his existence is inseparable from three great purposes: slavery, succession and reconstruction, and thinkers who were interested in the subject of "succession" Muhammad Iqbal, especially in his book "Renewal of religious thought", where this research tried to balance between the Qur'anic perspective and the thought of Iqbal in raising this issue, by introducing succession and its purposes, and explaining the reasons for the backwardness of the Islamic nation, and the general and private obligations of succession, and his approach to follow the teachings of the Qur'an and Sunnah as a source of legislation.

Keywords: : Muhammad, succession, reconstruction, renewal.

مقدمة:

"محمد إقبال" أحد رموز الفكر الاسلامي، جمع بين نور البصيرة وجمال الروح، سخّر قلمه وحياته في سبيل إعلاء كلمة

(1) جامعة: الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، الجزائر

التوحيد، مستمسكا بحبل الرسالة المحمدية وهمّتها، مستنيرا قلبه بنور منبعها، فجمع في دعوته بين إيقاظ همم الشباب للمعالي وبين التحذير من استحواذ عالم المادّة عليه، غايته في ذلك تجديد الفكر الديني، من ناحية الفهم والعمل، وتجديد نشاط الروح وبعث الحياة للذات التي تتمثله، من خلال الثبات على القيم الايمانية والدينية، الدافعة إلى عزة النفس وحريتها، ومن المباديء التي أشار إليها كثيرا في مؤلّفه" تجديد الفكر الديني في الإسلام" مبدأ "الاستخلاف في الأرض" الذي جمع بين التشريف والتكليف، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: 30]، وكيفية تحقيقه، وما يندرج تحته من مقاصد عبادة الله وتعمير الأرض وتحقيق العدل، ولا يمكن تمثّل هذه القواعد للاستخلاف إلا بعلاج مكمن الضعف والقوة، ألا وهي " الذات"، فصلاحها صلاح لمنظومة الفكر الاستخلافي، ولهذا ارتأيت لدراسة هذا الموضوع معالجة إشكالية مفادها: **ما هي مقوّمات وموجبات الاستخلاف في الأرض في نظر محمّد إقبال، وما مدى توافقه في فكره الاستخلافي مع المنظور القرآني؟.**

وتظهر **أهمية هذا** الموضوع في حاجة المجتمع الملحة إلى فهمه والاستفادة من المحاولات الإصلاحية لدى محمد إقبال، إذ كان أساسها معالجة واقع المسلمين في العصر الحديث وما شابه من تخلف وضعف ومهانة نفسية وهشاشة دينية، استوجب تجديد الفكر واستيضاح المعالم واستجماع القوى الروحية والعلمية للخروج من حالة التشتت والضياع.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1)التعريف بجهود وفكر محمد إقبال في تجديد الفكر الديني، والاصلاح الذاتي والمجتمعي.

2)الاستفادة من الرؤية الإقبالية لمبدإ "الاستخلاف في الأرض"، وبيان أسباب الضعف والتخلف في المجتمع المسلم.

3)توحيد الصف الدعوي على مباديء ثابتة، مستخلصة من الفكر الإقبالي، تعتبر دعائم أساسية لتحقيق الاستخلاف في الأرض، ونجاح النشاط الرسالي.

منهج البحث: اعتمدت على منهجين أساسيين في دراسة هذا الموضوع:

1)المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء أقوال محمد إقبال عن الاستخلاف في كتابه "تجديد الفكر الديني في الاسلام"

2)المنهج الوصفي والتحليلي: وذلك لوصف نظرته للاستخلاف وتحليلها، مع الموازنة مع النظرة القرآنية له.

المحاور الأساسية للبحث: يشتمل الموضوع على مقدمة وثلاث محاور أساسية وخاتمة مع ذكر لمصادر الموضوع ومراجعه:

1) تعريف الاستخلاف ومقاصده
2) أسباب التخلف والانحطاط الحضاري في نظر محمد إقبال
3) موجبات الاستخلاف ومقوماته –موازنة بين المنظور القرآني والفكر الإقبالي

المبحث الأوّل: تعريف الاستخلاف في الأرض لغة واصطلاحا :

1.2-لغة: خلف يخلف، خلافة واستخلافا ألفاظ قرآنية وردت جميعها في القرآن الكريم، ولتتبع دلالاتها كان لزاما الرجوع إلى اشتقاقاتها اللغوية ابتداء، إذ يحتمل هذا المصطلح المعاني الآتية:

أ-الإمارة والحكم: وتسمى خلافة لأن الخليفة الثاني يجيء بعد الأول قائما مقامه، والخليفة هو الذي يَستخلِف من قَبلَه، قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: 129]، مرتبة السلطان الأعظم (رضا، 1958، صفحة 320)

ب—**النيابة والاستبدال:** مجيء الشيء بعد الشيء، وخَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا كَانَ خَلِيفَتَه، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**﴾ ﴿**الأَعْرَاف: 142**﴾ (منظور، 1414هـ، صفحة 83/ ج9)

ج—**الوراثة** : ومنه الخَلَفُ -بالفتح: الباقي بعدَ الهالك، الخالفة: الأُمَّةُ الباقِيَةُ بعدَ الأُمَّةِ السَّالِفَةِ (الفيروزبادي، 2005م، صفحة 807).

د-التخلف والتأخر: عكس التقدم (فارس، 1979م، صفحة 210/ ج2) "(خَلَفَ) الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَجِيءُ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَالثَّانِي خِلَافُ قُدَّامٍ، وَالثَّالِثُ التَّغَيُّرُ، وتقول: قَعَدْتُ خِلَافَ فُلَانٍ، أَيْ بَعْدَهُ"

هـ-العوض بعد الفقد: يُقال " خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ " أَيْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلِيفَةَ عَلَيْكَ لِمَنْ فَقَدْتَ .. وَ" أَخْلَفَ اللَّهُ لَكَ " أَيْ عَوَّضَكَ مِنَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ مَا يَكُونُ يَقُومُ بَعْدَهُ وَيَخْلُفُهُ (فارس، 1979م، صفحة 210/ ج2).

فيفهم مما سبق أن لفظ "الخلافة" تتنوع معانيه بتنوع اشتقاقاته، وأغلبها يدور حول دلالة الحكم والإمارة، والوراثة، والنيابة والاستبدال، والتخلف والعوض، سواء منها ما دل على الاستخلاف الخاص المقصود به الملك وتولي شؤون الرعية، أو المعنى العام المستغرق لعموم المستخلفين من الخلق.

2.2 اصطلاحا: واستنادا للدلالات اللغوية فقد عرّف العلماء الاستخلاف:

بمفهومه الخاص: بأنّه يرمز إلى: "الحكم والملك والرياسة" وغيرها مما يفيد التزعم والقيادة بغرض إصلاح أحوال الرعية الدينية والدنيوية، : (**القلقشندي، 1985م، صفحة 8/ ج1**) «الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها» ، والحاكم بذلك يخلف النبي عليه الصلاة والسلام وينوبه في تبليغ الرسالة المحمدية وهداية الناس ورعاية شؤونهم واستصلاحها ، لا بمعنى وراثة النبوة التي اكتملت بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام، بل بمقتضى حقيقة الخلافة التي تستدعي النصح والإرشاد والحرص على المصلحة العامة، وتشمل بالمعنى الأخص وجود طرفيها من حاكم ومحكوم ورئيس ومرؤوس، (**التفتزاني، 1999م، صفحة 234/ ج5**) «رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ»، قال تعالى: ﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ**﴾ ﴿**ص: 26**﴾

فالخليفة ينوب من سبقه بسبب عرض من الأعراض الانسانية التي تصيب النفس البشرية، كالموت أو العجز، أو غيره، بنقل الحكم إليه ووراثته، بشرط انتفاء المصلحة الخاصة والاجتهاد لتحقيق المصلحة العامة، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢** ﴾ ﴿**الأَعْرَاف: 142**﴾

وأما بمفهومه العام: وهو الغالب في القرآن الكريم، وفحواه أن استخلاف الله للانسان في الأرض ينبني إلى شقين متلازمين: العبادة والعمل، المرتكزان على الروح والمادة معا، وانتفاء أحدهما دون الآخر مفسد لحقيقة الاستخلاف، إذ العبادة هي زاد المؤمن وهي صمّام الأمان ووقود النفس لشحن قواها للفعل الصالح، وأمّا العمل فهو وسيلة للتعمير ووراثة الأرض وفق شرع الله لغاية التمكين، ولهذا يعرّف (فرحات، 1986م، صفحة 21) "الاستخلاف عبادة طوعيَّة للَّه بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع اللَّه وعلاقته بالكون والمخلوقات؛ بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح" قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** سورة البقرة: 30.

فالاستخلاف تكليف وأمانة استرعاها الله تعالى عباده المؤمنين، فإذا تحقق الالتزام بأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه، حازوا بذلك شرف الاستخلاف والاصطفاء في الأرض **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البَقَرَةِ: 30**، يقول الإمام ابن حبان: الخليفة اسم لكل من انتقل إليه تدبير أهل الأرض والنظر في مصالحهم،.. وفي المستخلَف فيه آدم قولان: أحدهما: الحكم بالحق والعدل. الثاني: عمارة الأرض، يزرع ويحصد ويبني ويجري الأنهار (الأندلسي، 1420هـ، صفحة 3227/ ج1) ، فخلافة الأرض (الأحمر، 2017م) " تتطلب تنفيذ مراد الله، والقيام بتعمير الأرض وفق أوامر الله ونواهيه، وتمنح فيها للإنسان حرية الاختيار، التي يكون بها مسؤولا عمّا يقوم به".

ويستصحب لفظ الخلافة والاستخلاف العام والخاص معنى الرفعة والعلو الدنيوي الذي غرضه الابتلاء واختبار الأعمال، والرفعة والعلو الأخروي الملازم للجزاء من جنس العمل، قال تعالى: **﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٥﴾ الأَنْعَام: 165**

3.2 العلاقة التلازمية بين الاستخلاف والعمارة :

إن المتأمل في الآية الكريمة **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البَقَرَةِ: 30**، يدرك أنّ الله تعالى خلق الخلق وأوجده لغاية ولم يخلق عبثا: قال تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"، فاستلزم ذلك قيام الانسان بواجبه المنوط به لتحقيق استخلافه تكليفا وتشريفا، وتحقيق المقصد من وجوده، فقد (السارد، 2023) " أشهد الله سبحانه وتعالى ملائكته الكرام بجعل الإنسان خليفة في الأرض، يمارس عمارة الأرض بالتقوى و العمل الصالح، ووهبه العقل و العلم الذي من خلاله تميز عن غيره من المخلوقات، وزوده بجميع الإمكانات التي تؤهله إلى ممارسة الخلافة في الأرض على الوجه المطلوب ".

ولذا فإنّ علاقة الاستخلاف بالعمران علاقة تلازم وتداخل، فلا ينال المرء شرف الاستخلاف إلا بموجبه العمران، وكلاهما يخدم الآخر، وكلاهما يعود بالنفع على الفرد بتمكينه في الأرض وتسخير منافعها لمصلحته الدينية والدنيوية، قال تعالى: "ولقد مكّنّا لكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش " –الأعراف–،

كما يعود بالنفع على الجماعة التي تتمثل في الأمة من خلال تمكينها بين الأمم واستجماع قوتها وهيبتها، ولا يتحقق ذلك إلا بتوحيد الجماعة على تعمير الأرض روحا وذاتا ومادة ، حيث يشمل جانبين، فمنه ما تعلق بتعمير الروح بطاعة الله ورسوله والثبات على دينه، وفي ذلك تغذية لها بغذاء القوة النفسية وإعلاء لهمتها لتولي القيادة، ومنه ما تعلق بالتعمير المادي الذي يشمل تشييد العمران ومحاولة النهوض بمجالات الحياة علميا واقتصاديا واجتماعيا.

وقد جاءت المنهجية القرآنية لتربط الإستخلاف وعمارة الأرض بصلاح عقيدة المستخلفين، وما يقومون به من أعمال صالحة، وواجبات شرعية تندرج تحت مهام العمران، الذي يعتبر غاية استخلافه الانسان، و إذا كان العمران مرتبطا بعبادة الله تعالى و هما ينتظمان معا للاضطلاع بتمكين الانسان من القيام بمقتضيات الاستخلاف فإن هذا العمران لا يكون إلا وفق أبعاد متكاملة، رسالية و إنسانية و مادية تحضها على التقوى و العدل و المسؤولية و الصلاح والإصلاح (السارد، 2023).

المبحث الثاني: مقاصد الاستخلاف في الأرض وثمراته:

خلق الله الانسان وجعله خليفته في الأرض لمقاصد عظيمة، يكمّل أحدها الآخر، وهي بحدّ ذاتها أسس لنجاحه في اختبار الاستخلاف ، يمكن إجمالها فيما يلي:

1- **تحقيق العبودية لله تعالى:** توحيدا له وإفرادا، ولا يكون ذلك إلا بإعمال شروط الاستخلاف السابق ذكرها، حتى يتحرر المستخلف من قيود التبعية ويتحقق إسلامه لله الواحد القهار.

2- **عمارة الأرض:** بعد إدراك كل فرد من جماعة المستخلفين بالوظيفة الموكلة إليهم، وشحذ الهمم للعمل والاجتهاد والتعمير، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود: 61]

3- **تحقيق مقصد العدل والمساواة: قال تعالى:** ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ [النساء: 58] إذ تحفظ حقوق العباد، ويُرفع الظلم وتحفظ الحرية والكرامة الانسانية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [الحديد: 25]

4- **تحقق وعد الله تعالى بالنصرة والتمكين: بدليل قوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ النُّور: 55﴾. وما كان الله ليخلف وعده إذا تحققت موجبات الاستخلاف ، وعاقبة ذلك أن يمكّن الله تعالى لعباده المؤمنين، بعد أهليتهم لوراثة الأرض يعبدونه ويحكمون شرعه.**

المبحث الثالث: أسباب الضعف الحضاري عند المسلمين في منظور محمد إقبال:

طرح محمد إقبال خمسة أسئلة جوهرها محقق لطبيعة الاستخلاف قائلا: (إقبال، 2011م، صفحة 13) «ما طبيعة هذا الكون الذي نعيش فيه؟، وما هي بنيته العامّة؟ هل في قوام هذا الكون عنصر دائم؟ كيف ننتمي إلى هذا الكون؟ وأي موقع نحتله فيه؟ وأيّ نوع من السّلوك يتلاءم مع هذا الموقع الذي نشغله؟.

"الوعي والحرية" عنصران أساسيان يمكن أن نقرأ بهما هذه التساؤلات للخروج بإجابات واضحة المعالم مستبصرةً الطريق الذي ينبغي سلوكه وتجسيده واقعيا، بعد إدراك حقيقة الاستخلاف التي جمعت بين صفتي الاصطفاء والأمانة وما ينجر عنهما من الجزاء والعاقبة على أساس الحرية المطلقة في اختيار المآل.

ويتعرض محمد إقبال في مضامين كتابه –تجديد الفكر الديني– لأسباب تراجع وضعف الأمة الإسلامية في عصورها الأخيرة ، إذ تعيش حالة من الانحباس العقلي والجمود الفكري الذي آل بها إلى إنعدام عنصر الإبداع في شتى المجالات. ويمكن إجمالها فيما

يلي:

– الاستكانة والضعف والفراغ الروحي نتيجة البعد عن تطبيق تعاليم الإسلام والاحتكام إلى القرآن والسنة مصدرا للتشريع والتقنين للمجتمع، وهو ما أدّى إلى هشاشة نفسية وضياع فكري وتخلّف اقتصادي واستقواء أجنبي.

– الجهل بحقيقة الاستخلاف والخلق واختزال الذات الإنسانية في الوجود المادّي، غيّب مفاهيم أساسية حقيق بها أن تنشأ مع الإنسان منذ الصغر، ومن شأنها خلق القيادات الواعية بضرورة الحاضر وبشائر المستقبل استشرافا للشهود الحضاري المنشود.

– الانغلاق الفكري الذي يُؤثِر التقليد على الإبداع والتجديد، والتبعية على الاجتهاد، في حين أن العقول هي العقول، بل لعلّ العقل المعاصر يملك من القدرة على الإبداع وتنمية الفكر أكثر من غيره، إذا ما استفاد من تراث المتقدمين ونقّح ومحّص ونقد، وزاد عليه ما قد يفتح الله به عليه بعد الإعمال.

يقول محمدّ البهي عن محمد إقبال بأنّه: (البهي، 1383هـ- 1964م، صفحة 460) «رأى ضعْفا في المسلمين كأفراد وجماعة، ورأى ركودا في أفهام المسلمين للإسلام، ورأى عُزوفا من المسلمين عن حياة الواقع والحسّ، رأي إنسانا سلبيا في كلّ جانب، ورأى مع ذلك في إسلامه دينا إيجابيا في كل جانب، رأى من جانب إنسانا لا يصلح لهذه الحياة، ورأى من جانب آخر دينا هو لهذه الحياة والحياة الأخرى معا».

–وفي ظلّ غياب الروح النقدية الممحصة للأحداث ووالحقائق، وتدعمها النفس الضعيفة التي لا تقدّر ذاتها يحدث التأثر الشديد والتبعية للحضارة الغربية، والانسلاخ من دعامتي التديّن الصحيح، ومصدري الصفاء الفكري (الكتاب والسنة)

– غياب الروح الرسالية وبناء الذات الإسلامية عليها أحد أهم عوامل التخلّف والانحطاط الذي يزول بمجرّد استثمار الفرد لذاته ووقته في خدمة الرسالة المحمدية وتطوير المجتمع.

المبحث الرابع: شروط الاستخلاف وموجباته: موازنة بين المنظور القرآني والفكر الإقبالي:

لما كان الاستخلاف أحد مقاصد الوجود الانساني على الأرض لزم لأجله تحقق بعض الصفات والشروط الواجب توفرها في المستخلَف حتى يكون أهلا للقيام به على الوجه المطلوب، وقد أورد محمد إقبال عددا من الشروط في مضامين كتابه "تجديد الفكر الديني في الإسلام"، وتحقيقا لغاية هذه الورقة البحثية سنحاول الموازنة بين النظرة القرآنية للاستخلاف ومتطلباته وبين الفكر الإقبالي الذي ركز عليه في عدد من صفحات كتابه.

أ–شروط عامة: إذ هي المقصد لايجاد الخلق، وهي موجباتٌ للاستخلاف في آن واحد:

1–تحقيق العبودية والتوحيد لله تعالى:

فالإيمان بالله والتوحيد الخالص ونفي الشريك والندّ له موجب للتمكين ونيل شرف الاستخلاف، **قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النُّور: 55]**، وقال تعالى:**﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ٥٦﴾ [الذاريات: 56]**

وينظر محمد إقبال للدين نظرة شمولية تجمع بين التوحيد والايمان بالله وحده شعورا وعقيدة، وتفعيله عملا وسلوكا وأخلاقا، الدين بالنسبة له استبصار بحقيقة الوجود ومعنى الحياة يُمدّ الانسان بمصدر القوّة والحرية، فيقول: (إقبال، 2011م، صفحة

15)«والدين لا يقبلُ التجزئة، فهو ليس فكرا مُجرّدا ولا شعورا مجرّدا ولا فعلا مجرّدا، إنه تعبير عن الإنسان بكلّيته الفكرية والشّعورية والسُّلوكية جميعا» .، وبعبارة أعمق يعتبر الدين متمثلا في أساسه الأول وهو توحيد الله تعالى سبيلا لفهم المقصد وتحقيق الذات بعد التزام الأوامر الإلهية: (إقبال، 2011م، صفحة 305) "فالدين مجهود صادق لتصفية الوعي الانساني" .

2–طاعة الله ورسوله واتباع أوامر الشرع: وما يلحقها من الطاعات والعبادات، والانتهاء عن نواهيه وما يتبعها من الزواجر والمحرّمات، ولا يمكن تحقق التمكين بعد الاستخلاف إلا بذلك: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥**﴾ **[النساء: 65]**

وقال - تعالى- :﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١** ﴾**النُّور: 51**﴿

ويبيّن محمد إقبال أنّ على المسلم أن يترجم عقيدة التوحيد لله تعالى عمليا من خلال الولاء والطاعة له، ويستعرض أهمية التمسّك بالكتاب والسنة كمصدر لوحدة الأمة فيقول مبيّنا دورهما في إيقاظ همم الذات، وأنهما سبيل القوة النفسية والروحية، المانعة من الضلال والزيغ عند الاعتصام بهما (إقبال، ديوان الأسرار والرموز، 2014م، صفحة 90):

صَاح هل تعلم ما سَكَتا؟*** أيّ سّرٍ ضمنت قُدرتكُما**

الكتاب الحيّ والذّكر الحكيم* حكمة في الدّهر تبقى لا تريم.**

إن فيه سير تكوين الحياة ** يستمدّ النّكس أبدا من قواه**

لفظه لا ريب أو تبديل فيه * آيه لا لُبْس أو تأويل فيه.**

قوّة فيه تشدّ الخُـــــــوَرا ****وبها يرمي من الزُّجاجُ الحجرَا

ولأنّ محمد إقبال شمولي في دراسته للظواهر والمسائل، يتعامل معها برؤية نقدية فاحصة، بقصد بلوغ التغيير والإصلاح المنشود، نجده يتناول موضوع الصلاة من زاوية مختلفة عما اعتاده الفكر، فيربط بين الفاعلية والتأمل ومعرفة الذات وبين الصّلاة، من الناحية العملية إذ يقول: والواقع أن الصلاة يجب أن ينظر إليها على أنّها تكملة ضرورية للنشاط العقلي لمن يتأمّل الطبيعة، وملاحظة الطبيعة ملاحظة علمية تجعلنا على اتصال وثيق بسلوك الحقيقة، فنشذ بذلك إدراكنا الباطني لشهود الحقيقة شهودا أوفى،...فالصلاة إذن فعل فريد من أفعال الاستكشاف، تؤكدّ به الذّات الباحثة وجودها في نفس اللحظة التي تنكر فيها ذاتها، **فتتبيّن قدر نفسها ومبرّرات وجودها بوصفها عاملا محرّكا في حياة الكون** (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 152).

3–الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فلا تنفع العبادات والطاعات دون الحرص على تبليغ الرسالة ونشر الدعوة المحمدية الموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الشنقيطي – رحمه الله– (الشنقيطي، 1415هـ–1995م، صفحة 266/ ج5) « إنّه لا وعْد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزّكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فالذين يمكّن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يُقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهَون عن المنكر – فليس لهم وعْد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعَدهم بالنصر».

وهذا يعني أنّ الأمم الكافرة ممّن قدّر لها التمكين والغلبة، تعيش تحت غطاء الإمهال والاستدراج، فما هي إلا حضارة واهية آيلة للزوال، وفقا للسنن الكونية القاضية بنصرة المستمسك بحبل الله المتين.

4-**الحرص على إتيان العمل الصالح:** سواء ما تعلق به من العبادات أو ما كان تحقيقا للمنفعة العامة وخدمةً لمصلحة الرعية، ومجالاته واسعة وطرقه متيسرة إذا ابتغت إخلاص النية من صاحبها تثبيتا للأجر والقبول، ذلك لأنّ الآية الكريمة ربطت بين الايمان بالله والعمل الصالح لاستحقاق التمكين والنصر، قال تعالى: : **﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ ﴿النُّور: 55﴾**.

ووجه الإمام ابن باديس –رحمه الله–معنى الآية بقوله: (باديس، 1416هـ- 1995م، صفحة 347) "علق الله الوعد بالوصف، وهو الصلاح، ليعلم أنه وعد عام، ولتعلم كل أمة صالحة أنها نائلة حظها –ولا محالة–من هذا الوعد. واقتضى هذا التعليق بالوصف أيضاً تقييده بأهله، فإذا زال وصف الصلاح من أمة زال من يدها ما ورثت"

5-**حتمية التغيير والإصلاح:**

يؤكد محمد إقبال على ضرورة وحتمية إصلاح الذات فردا، وإصلاح الأمة عامة، إذ أنّ تغيير حال المجتمع وصلاحه مصاحب لسنة الله في تغيير الكون وصلاحه تبعا لذلك، وهذا الأخير يمتاز بقابليته للامتداد والزيادة والتغيّر استجابة لسنن الله الفاعلة فيه، ورغبةِ الإنسان في تسيير حياته وفق مبدإ التغيير والإصلاح، فيقول تعالى، **[إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ]** [الرعد:11]

فالتغيير في نظره حقيقة كبرى، ولا يمكن بناء حضارة متينة البنيان إلا إذا تحققت (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 34)، وهو يعبّر على ذلك بمصطلح "السيطرة على قوى الطبيعة" لا بمعنى التسلط والطغيان والإفساد في الأرض، بل بمعنى الإمساك بزمام الاستخلاف والعمران الذي مآله التمكين في الأرض. ولذلك فعلى المسلم أن يجتهد ويبذل جهده للتغيير وفق الأصول والتعاليم الإلهية الموصلة إلى الترقّي والتجلّي.

والتغيير عنده يشمل مستويات عدة منها:

1-على مستوى الذات والنفس، يمسّ المفاهيم والتصوّرات والمعاني ومعنى الإنسان، ومعنى الحياة ومعنى الوجود وواجبات وحقوق البشر.كما يمس أنماط وطرق التفكير ومناهج وأساليب العمل، ويمسّ القيم التي يؤمن بها الإنسان والمبادئ التي تقوم عليها حياته، والغايات التي لأجلها يحيى.

2-على مستوى الواقع الاجتماعي، فهو تابع للتغيير الذاتي، ومتى كان هذا الأخير سليما ومتوازنا انصلح الفكر والثقافة والأخلاق وتحسّن النظام الاجتماعي بجميع فروعه.

3- أما على مستوى الطبيعة: فهو تسخير لظواهرها وتحويلها من صورة غير نافعة إلى صورة نافعة للبشر (جيلالي، صفحة 9).

فهذه الحضارة عبارة عن تغيّر يجري على الإنسان...ويتجلّى في النهاية في صورة تقدّم وازدهار روحي، وتقدّم وازدهار مادّي، ومتى حصل التوازن والانسجام والتكامل بين الجانب الروحي والجانب المادي...بلغ الإنسان قمّة التحضّر التي هي غاية

التاريخ والمجتمع ومبتغى الإنسان (جيلالي، صفحة 23).

إن الانسان في نظر إقبال بكيانه الروحي والمادي قادر على إدراك كنه الأشياء المحيطة به واسثمارها، قادر على تجسيد ما يتخيله واقعا، قادر على التفكير في حياة أفضل، إلا أنّ القدرة وحدها لا تخلق منه كائنا متفردا متميزا عن غيره ما لم يدعمها بالفعل الجاد المثمر.

ب–شروط ذاتية : وتتعلق بالفرد، وتتسم بطابع الخصوصية، إلا أنها في أهميتها لا تختلف عن الشروط العامة، ولا تقوم قائمة للاستخلاف إلا بتكامل شروطه العامة والخاصة معا، وكلاهما يخدم الآخر.

1–إدراك حقيقة الذات وأسرارها:

حديث الذات ومكنوناتها وأسرارها وتجلياتها نال قسطا وافيا من اهتمام محمد إقبال، وألّف له دواوين خاصة، واستفاض في بيانه في كتابه "تجديد الفكر الديني"، ولعله يحتاج ورقة بحثية منفردة، إلا أنني سألخص بعض ما جاء في هذا الكتاب من نظرته للذات وما ينبغي أن تكون عليه استجابة لنداء التغيير المورِث للاستخلاف المنشود.

يرى محمد إقبال أن بناء الإنسان بناء للحضارة، وهو اللبنة الأولى للتغيير والإصلاح، حيث يضع تساؤلا عن حقيقة الانسان وكنهه؟، قائلا: « فما هي طبيعة الإنسان الذي يحيط به الكون من جميع أقطاره؟». وكأنّ الإجابة عن هذا ممهّد لزوال قلقه وألمه في هذه الحياة رغم تكريمه وتسخير جميع ما في الكون لصالح خدمته، ولا يمكن الاكتفاء بتدبر الذات فقط بل يربطه بالتفكر والتدبر في ما حولها من الكون، فيقول: (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 29) "إنّ واجب الإنسان التأمل في آيات الله الكونية ومن ثم اكتشاف وسائل لتحقيق سيطرته على الطبيعة كحقيقة واقعة ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان: 20]".

وفي رحلة اكتشاف ذاته والكون المحيط به قادر على تسخيره لتمكينه في الأرض وتحقق عزته فيها، وهو "مع إخفاقاته يتفوق على الطبيعة طالما كان يحمل على عاتقه تلك الامانة الكبرى" (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 29)، والذات كما لها تجليات لها وظيفة، حيث اعتبر أنّها هي الموجّه والمدبّر في حالة التوتر والقلق الذي يعيشه الإنسان في بحثه عن المعرفة، ومدار الخلاص منه القيادة والإرادة.

فلا ينوء لحمل أمانة كهذه إلا من أدرك نفسه حق الإدراك من جميع جوانبها وتسلّح بسلاح الحق والمعرفة والقوة، فبناء الحضارة عنده« تعني بناء الإنسان أوّلا...وشروط بناء الإنسان ذاتية وفردية ونفسية وروحية بناء للعالم الدّاخلي للذّات وفق معايير روحية ، ثم بناء المجتمع والحياة والتاريخ وفق نفس المعاير وهي مقرّرة في روح الإسلام والنصوص القرآنية» (جيلالي، صفحة 8).

ويؤكد إقبال على أن الواجب لتحقيق الذّات خروجها عن جمودها والسّعي وراء اتخاذ الأسباب لبلوغ الغايات فيقول: (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 36) «وتحي الذات إذا ما تحرّكت وتقدمت وسعت إلى الأمام حتى تصل إلى النجم دون توقف».

ولا بدّ للانسان أن يكون قياديا صاحب إرادة حتى يتجاوز العقبات وتنازع القوى الداخلية والخارجية لصدّه عن مشروعه الاستخلافي، فالذات بإدراكها للأشياء وإرادتها وشعورها برغبة القيادة يمكنها التغلب على ما قد يفرض تنازعا بين الروح والمادة،

2–الفاعلية والحركة:

يرى محمد إقبال أن استسلام الفرد المسلم لحالة الجمود والرّكود ورضاه بها حرمه من الابداع والتجديد، ولا يمكنه الترقي إلا باستعادة نور ذاته واكتشاف حقيقتها، لذا فهي بحاجة إلى السّموّ الذي يجعلها في حالة إدراك ويقظة دائمين من خلال الإجابة العملية عن حقيقة الانسان ومصدره ومصيره، وهذه ممهدات الوعي بمقدمات الاستخلاف التي استشكلها في أول الكتاب.

ونزاع الذات بين الجمود والخمول.. نزاع بين الحياة والموت، ليس موت الجسد، ولكن موت نشاط الروح (كعبوش، 2023)

ويصوّر إقبال حالة الإنسان وضعفه في رحلته في هذا العالم، الذي يكتشف فيه ذاته أثناء معاناته لإثباتها، فإذا ما اكتشف جمال روحه ونشاطها، انقلب إلى قوة استخلافية بمجرد تغليب جانب الرّوح على المادة.

والنفس الإنسانية في نظره تحوي جانبين أساسيين هما دعامتان لتحقيق مقصد الاستخلاف: جانب المعرفة وجانب الفاعلية، والأوّل منهما منشيء للثاني ودافع له: (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 130)«فالنفس العارفة تحيا في ديمومة بحتة، أي تغيّر بدون تعاقب، وحياة النّفس تتحقق في حركتها من المعرفة إلى الفاعلية، من الحدس إلى العقل»

ووظيفة الإنسان أن يشارك في تعمير هذا الكون وخلق المنفعة المتبادلة عطاء وتسخيرا ، مع ضرورة التوازن بين الروح والمادة وعدم طغيان أحدهما على الآخر، وليس أبلغ من كلام إقبال وهو يدعو الانسان إلى تحريك شعور الطموح والترقي في الدرجات روحا وفكرا ومادة، فيقول: (إقبال، والآن ماذا تصنع يا أمم الشرق ، صفحة 43) «إنّك أيّها المؤمن لخليق بأن تُنْشد مقامك، وتتعرّف فوق النجوم مكانك، فلا تكن كالطّائر الحائر الذي يَضِلُّ في سيره، ويُنشد طعامه من صيد غيره، لا تكن في فطرتك السّامية، وفي اختيار منْزلتك من الدُّنيا أقلّ من صغار الطّير التي تختار بين فروع الأشجار مكان عيشها ومقر وجدها قُم واخلُق هذه السّموات السّبع مرة أخرى، واخلق العالم طبعا لمشيئتك ورغْبتك، وتحرّر من قيود الباطل».

العمل والاجتهاد:

يرى محمد إقبال أن وظيفة الذات وقيمتها تظهر فيما تحققه من انجازات وتوظيف لمسخرّات الأرض خدمة للاستخلاف القرآني، وهذا يستوجب رؤية أكثر عمقا ومعرفة بحقيقتها، وأن يكون لها من الطموح والبذل والعطاء وعلوّ الهمة ما يجعل منها ذاتا صاحبة شأن في الدنيا، وصاحبة ترقّيات ودرجات في الآخرة.

والعمل وسيلة لتزكية النفس وتقويتها على الخير والصلاح، قال تعالى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: 8-10]، والعمل نشاط للذات يكسبها هيبة وتقديرا ويزيدها قيمة ورفعة.

ولذا فهو ينتقد الصوفية على تغليبهم جانب الروح والممارسات العرفانية على العمل والعطاء الذي هو قيمة قرآنية ترفع الإنسان من درجة الذل والاستكانة والتواكل إلى الرفعة وعزة النفس، حيث «يؤكد القرآن على العمل أكثر من تأكيده على الفكر، ومع ذلك فسنجد أناسا عاجزين بطبيعتهم على أن يتمثّلوا عالما غريبا عنهم، يمارسون فيه النوع من التجربة الجوّانية التي يقوم عليها الإيمان الديني بشكل أساسي (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 9).

التزام الجماعة ونبذ الفردية:

ويدعو محمد إقبال في بعض قصائده على ضرورة **التزام الجماعة** والتخلّي عن **الفردية** ، ولا تتشكّل الأمة وتقوى إلا باجتماع أفرادها واتحادهم، ولا يحدث ذلك إلا بنفي الذات في منظور إقبال والذي يقصد به «العمل التناغمي بين الفرد والجماعة

بحيث تكمن تربية الذات بين الاستقلالية نحو السّموّ من جهة، ومن جهة أخرى متفاعلة مع الآخرين» (كعبوش، 2023، صفحة 347)، فيقول: (إقبال، الأعمال الكاملة، 2007، صفحة 191)

يُحرم المرءَ الوَاحد المقْصدَا***فترى نَظْم قواه بدّدا

تجمع الأمّة شمل المنِّة****فيه تَحْبُوه وعظيم الهمة.

وليس هناك تناقض بين نفي الذات وإثباتها كما سبق وأن ذكرنا، بل المقصود عنده أن يتجاوز الفرد نفسه إلى الجماعة ويعتدّ بكلمتها، ويلزم الإجماع كما يلزم الامتثال لأوامر الكتاب والسنة، ويد الله مع الجماعة، ومن لزمها أمن على نفسه شرّها وأنانيتها، وخف عليه حِمل الأمانة الموكلة إليه « لأنّ الغاية واحدة بالنسبة للأمّة والفرد، وإنّما الهدف الواحد يقوّي الأمة، فلا يعني فناء الذّات في الأمة محوّها وتقييدها، بل إنّه منهج إصلاحي تربوي لتربية الفكر تربية صحيحة» (كعبوش، 2023، صفحة 349).ويعلل سبب أفضلية تأدية الصلاة مع الجماعة، بأنّ "التجمّع يضاعف قوّة الإدراك عند الرجل العادي ويعمّق وجدانه، ويفعّل إرادته درجات لا يألفها في عزلته الفردية" (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 154).

نبذ التقليد الأعمى للحضارة الغربية:

ينبه محمد إقبال على خطورة ضعف الذات المسلمة بعد اقتدارها، وتأثرها بالحضارة الغربية وتقليدها كأحدّ أهمّ أسباب التخلّف الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، فحياة الذات واستعادة نشاطها لا يتمّ إلا بأمرين: التركيز على الجانب الرّوحي لها، وإطّراح التقليد الأعمى للحضارة الغربية، فالجانب الرّوحي عنده هو الذي "يعطي الصبغة الحقيقية للإنسان في سبيل حياة عادلة، فعلى الفرد المسلم أن تكون أصول شخصيته مستمدة من القرآن الكريم وسنة خاتم الأنبياء، بدل أن تكون أوروبا المنزوعة القيم الروحية، وما يطغى عليها من جانب مادّي، قائدة للحضارة الإنسانية" (كعبوش، 2023، صفحة 346).

حيث ينتقد الحضارة الغربية القائمة على الاستعمار والقومية السائدة وأنه لا يمكن تسميتها بالحضارة كونها قائمة على المادّة والهيمنة فهي آيلة إلى الزّوال وافتقارها لمقوّمات الترقّي الروحي الداعم لبقائها .

العلم والمعرفة:

ويلعب العلم والمعرفة دورا أساسيا لضبط القيادة الرشيدة للنفس والمجتمع وللاستخلاف الصحيح، إذ هما سبيل الوصول إلى الحقيقة الروحية والمادية على حد سواء.

فلا حياة للدين بغير علم، ولا للعلم بغير دين، (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 10) «وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيكتشف فيه العلم والدين أن بينهما تناغما متبادلا غير مشكوك فيه». ولا بد في نظره أن يكتسي العلم طابع التجدد والثراء، مع الحفاظ على الموروث القديم المصفى بمصفاة النقد والتمحيص. ولا بدّ من التكامل بين تراث المتقدمين واجتهادات المتأخرين، فلا إقصاء ولا إلغاء.

ولهذا فالعلم أهم عنصر ركز عليه إقبال اهتمامه، حيث لا سبيل إلى ترقي الذات وبلوغها مقصد التمكين إلا بالتكامل المعرفي بين الروح والجسد، وبين الروح والجسد والواقع أيضا: (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 31) " تتوقف حياة الإنسان وتقدّمه الرّوحي على إنشاء علاقات بالواقع المحيط به، والمعرفة هي التي تنشئ هذه العلاقات، والمعرفة إدراك

حسّي يدعمه الفهم [قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] [البقرة: 30]".

معايشة الواقع: يدعو محمد إقبال إلى ضرورة إزدواجية قوتي الدين والحضارة من خلال ارتباط المتديّن بواقعه إصلاحا وإعمارا وانفصال أحدهما عن الآخر ينافي حقيقة التّدّين الذي وصفه بالمثال فيقول: (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 27) «إنّ اللمسة السحرية للمثال، الذين يحي الواقع ويغذّيه، ومن خلالها فقط نستطيع أن نكتشف ونؤكد المثال. ففي الإسلام ليس المثال والواقع قوّتين متعارضتي يستحيل التوفيق بينهما، فحياة المثال لا تتحقق بالانفصال الكامل عن الواقع ».

مبدأ الحرية:

إنّ أهم قيمة تكتسب من آيات البقرة حول إنزال آدم من الجنة في منظور محمد إقبال هي **"الحرية"**، حرية النفس من قيود الشهوة، وأن ما جرى لآدم عليه السلام هو تجربة لها تعلمها الإردة والارتقاء، وبقدر ارتباطها بالعالم العلوي بقدر تحررها وترفعها عن العالم السفلي.

وفي قراءة فريدة له لعلاقة الصلاة كركن من أركان الإسلام بمبدإ الحرية يرى أنّها تحرر من ضغط المادة، ومصدر لاستعادة النفس سكينتها، من خلال الاتصال بالمصدر المطلق للحياة والحرية، وإقامتها في مواقيتها اليومية يقصد به إنقاذ الذات من المسلسل الميكانيكي للنوم والعمل، فهي مهرب لها وخلاص من الميكانيكية إلى الحرية (إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، 2011م، صفحة 179)، كما يدعو إلى تجديد وحرية الفكر دون الانفلات والانحلال الذي شاع في العصر الحاضر، الذي كان مردّه اتباع المناهج الغربية، التي تعمدت قراءة النصوص القرآنية قراءة خاطئة بغرض طمس معالم التراث الاسلامي.

الخاتمة:

الانسان في فكر محمد إقبال لم يخلق عبثا، "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"، حقيقة قرآنية تقضي بأنّ خلق الانسان غايته التعبّد والاستخلاف، وجوهرهما التوحيد الخالص والاستجابة للنداء العلوي والعمل الصالح، ومقتضاهما: التمكين في الأرض المشروط بعمارة الروح وإصلاح الذات وإدراك أسرارها، وصبغها بصبغة الفاعلية والحركية المنتجة، والتزام مبدإ الجماعة، وتحليتها بزينة العلم والمعرفة، وعمارة الأرض بتشييد العمران والنهوض ببما يخدم مصالح العباد في الحال والمآل.

وبعد هذا التطواف في زاوية من زوايا فكر "محمد إقبال" فإنّي أوصي بتكثيف البحث في أفكارها وإفهامها للناس، حيث لم تحظ بعدُ بالعناية الكافية من قبل الباحثين والدارسين، خاصة وأنّها تتناسب مع أحوال العصر ومتغيراته، لتكون حلولا لمشكلاته، إذ مشربه القرآن والسنة وسير السلف الصالح.

المصادر والمراجع:

Bibliographie

ابن خلدون ,ع .ا .(1984) .*تاريخ ابن خلدون* .بيروت :دار القلم.

ابن فارس. (1979م). *معجم مقاييس اللغة*. دار الفكر.

أبو حيان الأندلسي. (1420هـ). *البحر المحيط*. بيروت: دار الفكر.

أحمد حسن فرحات. (1986م). *الخلافة في الأرض* (الإصدار 1). الكويت: دار الأرقم للنشر والتوزيع.

أحمد رضا. (1958). *معجم متن اللغة*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

أحمد كعبوش. (جوان، 2023). من المبدإ إلى الغاية في تربية الذات من خلال فكر محمد إقبال. *مجلة الانسان والمجال*، *9*(1)، الصفحات 337- 353.

البهي ,م1383) .هـ1964 -م .(*الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي* .(éd. 4)القاهرة :مكتبة وهبة.

التفتزاني1999) .م .(*شرح المقاصد* .(éd. 2)بيروت ,لبنان :عالم الكتب.

السارد ,م ,2023) .يونيو .(الاستخلاف وعلاقته بالعمران في القرآن الكريم .*المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات* ,4(44), pp. 354- 367.

الشنقيطي. (1415هـ- 1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. لبنان: دار الفكر.

الفيروزبادي. (2005م). *القاموس المحيط* (الإصدار 8). لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

القلقشندي1985) .م .(*مآثر الأناقة في معالم الخلافة* .(éd. 2)الكويت :مطبعة حكومة الكويت.

جيلالي ,ب .(s.d.) .نظرية الحضارة بين محمد إقبال ومالك بن نبي.29 -1 .pp .

عبد الحميد بن باديس. (1416هـ- 1995م). *مجالس التذكير* (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

عبد السلام محمد الأحمر. (2017م). استخلاف الانسان في الأرض. *اسلامية المعرفة*، *23*(89)، الصفحات 101- 128.

محمد إقبال. (2007). *الأعمال الكاملة*. بيروت، لبنان: دار ابن كثير.

محمد إقبال. (2011م). *تجديد الفكر الديني في الإسلام*. (محمد يوسف عدس، المترجمون) القاهرة: دار الكتاب المصري.

محمد إقبال. (2014م). *ديوان الأسرار والرموز*. (عبد الوهاب عزام، المترجمون) مؤسسة هنداوي.

محمد إقبال. (بلا تاريخ). *والآن ماذا تصنع يا أمم الشرق* .

مسلم .(s.d.) .*الصحيح، كتاب الرقاق* .مصر :دار إحياء الكتب العربية.

مكرم ,ا .م1414) .هـ .(*لسان العرب* .(éd. 3)بيروت :دار صادر.

منظور ,ا1414) .هـ .(*لسان العرب* .(éd. 3)بيروت :دار صادر.